

## "تفسير التوراة بالعربية"

لسعديا الفيومي والأثر العربي الإسلامي فيه

د . بدران مسعود بن محسن

أستاذ مشارك بكلية الدراسات الإسلامية

جامعة حمد بن خليفة-قطر

محمد عبد العاطي مصطفى حسين

باحث بمركز الجزيرة للدراسات

ماجستير مقارنة الأديان/كلية الدراسات الإسلامية

جامعة حمد بن خليفة-قطر

## مقدمة

### تمهيد في طرح الإشكال:

يُعتبر الحاخام سعديا (سعيد) بن يوسف الفيومي (ت 942 م - 330 هـ) واحداً من أهم علماء الديانة اليهودية في العصر الوسيط. فهو أول من ترجم التوراة كاملة من العبرية إلى العربية، وأرفق هذه الترجمة بشرح حرص فيه على إزالة الغموض عن كثير من ألفاظها ومفرداتها كي تكون واضحة المعنى سلسلة البيان. وهو أول من وضع للغة العبرية قواعد نحوية أعاد بها إلى تلك اللغة الحياة، وجعلها لغة علم ومدارس بعد أن عَسَرَ فهمها على كثير من يهود زمانه.

كذلك كانت له إسهامات في علم الكلام اليهودي استطاع من خلالها التأكيد على أن النص التوراتي لا يتصادم مع العقل، وأن بالإمكان استخدام العقل لمزيد من فهم النص والإفادة المثلى منه، مما ردَّ كثيرًا من الشُّبه عن التوراة، خاصة تلك التي أثارها القراؤون وبعض الملحدين الذين ذاع صيتهم في عصره.

كما كانت له أيضا كتابات أدبية على هيئة أشعار وابتهالات وتسابيح تلاها اليهود إبان حياته وبعد مماته في صلواتهم وأعيادهم الدينية.

وكانت الفترة التي عاشها سعديا الفيومي (القرن العاشر الميلادي - الرابع الهجري) فترة ازدهارٍ وتقدم للحضارة الإسلامية في عديد المجالات: علم الكلام، التفاسير، علوم اللغة، الفلسفة، الأدب... إلخ، وهو ما وُقِّر للفيومي بيئة علمية خصبة أفادته وانعكست على أعماله.

وبالأخص ترجمته للتوراة من العبرية إلى العربية والتي تعتبر الأولى في تاريخ اليهودية والتي عُرفت باسم "تفسير التوراة بالعربية"، وقد حرص الفيومي على تسميتها "تفسيرًا" لأن غرضه الأساسي لم يكن الترجمة الحرفية وإنما الترجمة المصحوبة بالشرح والتفسير. وفي هذا التفسير بدت المؤثرات العربية الإسلامية واضحة في ترجمات سعديا الفيومي، في مستوى اللغة من كلمات ومفردات وألفاظ، وفي مستوى المصطلح والدلالات الإسلامية التي صاحبته.

تفسير التوراة بالعربية لسعديا الفيومي والأثر... \_\_\_\_\_ د/ بدران بن لحسن، أ/ محمد عبد العاطي

والأهم من ذلك الأثر الكلي الذي أحدثه الإسلام من خلال تلك الترجمة والمتمثل في إسباغ قدسية النص القرآني على النص التوراتي، وأثر ذلك على إعادة الاعتبار للتوراة -ليس فقط كنص للتعبد- وإنما أيضا كمصدر أساسي للعلوم الدينية بعد أن كادت تفقد هذه المكانة لصالح التلمود.

ويسعى هذا البحث إلى النظر في حياة سعديا الفيومي وأعماله العلمية في ظل الحضارة الإسلامية، مع التركيز على ترجماته وتأليفاته اليهودية باللغة العربية، وبخاصة "تفسير التوراة بالعربية" والأثر العربي الإسلامي في هذا التفسير، ومستويات هذا التأثير العربي الإسلامي.

وللإجابة على هذه الإشكالية، فإن هذا البحث يسعى إلى التعريف بسعديا الفيومي، ثم النظري في ترجماته وأعماله العلمية بالعربية والعبرية، ثم بعد ذلك البحث في أوجه التأثير العربي الإسلامي في "تفسير التوراة بالعربية" الذي ألفه.

## 1. سعيد بن يوسف الفيومي .. حياته وعصره

سعديا (سعيد) بن يوسف الفيومي مصري المولد والنشأة، ولد بقرية أبو صوير<sup>(1)</sup> في الفيوم عام ٨٨٢م / ٢٦٨هـ وتوفي في بغداد عام ٩٤٢م / ٣٣٠هـ، وتعد ترجمته للتوراة وتفسيره لها، وكتبه التي ألفها في الفلسفة وعلم الكلام واللغة، من أهم ما كُتِبَ في الفكر الديني اليهودي خلال العصر الوسيط.

بعد الفتح الإسلامي للعراق (النصف الأول من القرن السابع الميلادي) أعاد المسلمون منصب "رئيس المسبيين" لليهود، واستمر ذلك حتى نهاية القرن الحادي عشر الميلادي. وكانت في العراق آنذاك مدرستان كبيرتان لليهود، إحداهما في مدينة "سورا" بينما الثانية في "قوم بديتا"<sup>(2)</sup>. وخلال تلك الفترة شاعت تسمية "جاؤون" أو "غاؤون" (بمعنى العلامة الفقيه) على يرأس هاتين المدرستين.

---

(1) قرية تتبع حاليا مركز أطسا بمحافظة الفيوم في مصر، وهي غير أبو صوير التابعة لمحافظة الإسماعيلية.

(2) مدينة الفلوجة حاليا

تفسير التوراة بالعربية لسعديا الفيومي والأثر... \_\_\_\_\_ د/ بدران بن لحسن، أ/ محمد عبد العاطي

لا يُعرف الكثير عن عائلة الفيومي ولا عن حياته الأولى في الفيوم، غير أنه وهو في العشرينيات من العمر بدأ التأليف في علوم اللغة<sup>(1)</sup> ونشر بعض الكتب التي كانت سببا في شهرته<sup>(2)</sup>.

وخلال إقامته في مصر كانت له علاقة قوية مع صاحبه الحاخام إسحق بن سليمان الإسرائيلي الذي سكن القيروان بتونس. ثم غادر الفيومي بن يوسف مصر متوجها إلى فلسطين عام ٩١٥م للتحصيل العلمي، وتتلّمذ هناك على يد أحد العلماء المشهورين وهو "يحيى بن زكريا الكاتب".

ثم انتقل الفيومي عام ٩٢١م إلى مدينة حلب السورية، وهناك كان له دور كبير في الجدل القانوني والسياسي الذي نشأ بشأن التقويم اليهودي، وقد اختلف مع الحاخام هارون بن مئير رئيس يهود الشام آنذاك في هذا الأمر، وقد دافع سعيد الفيومي بن يوسف عن موقف علماء اليهود العراقيين بشأن هذا التقويم، واستطاع أن يُقنع يهود الشام برأي علماء العراق في هذه المسألة، ففضى بذلك على الخلاف، ووجد الصف اليهودي الذي كادت تعصف به هذه القضية المرتبطة بمواقف الأعياد.

وكانت المحطة الثالثة والأخيرة في حياة الفيومي هي العراق التي تضم أكبر أقلية يهودية في العالم العربي والإسلامي آنذاك، وقد عيّنه رئيس المسيبيين داود بن زكاي رئيساً لمدرسة سورا بالكوفة عام ٩٢٨م فلقّب منذ ذلك الوقت بلقب جاعون. ومن المعروف أن رؤساء المدرستين العراقيتين كانوا دائماً من أهل العراق، وكان انتخاب

---

(1) من أبرز مؤلفاته "كتاب اللغة" الذي يعتبر أول محاولة منظمة تبحث في نحو اللغة العبرية، وهو كتاب كبير يتكون من اثنتي عشر جزءاً مكتوب باللغة العربية، ولم يبق منه سوى أجزاء قليلة. انظر: عبد الرزاق أحمد قنديل، الموارث في اليهودية والإسلام، دراسة مقارنة، مركز الدراسات الشرقية بجامعة القاهرة، 2008، ص31-24.

(2) يعتبر سعيد الفيومي أبا النحو العبري؛ إذ لم يصل إلينا أي أثر في النحو العبري لمؤلف قبله، وقد مال إلى مذهب البصريين في الأخذ بالقياس في الأمور الدينية، في حين اتجه إلى الأخذ بالمذهب الكوفي في المسائل النحوية. نظر: البحث المنشور في مجلة دراسات الصادرة عن الجامعة الأردنية (العددان 18/17 شوال 1403) بعنوان النحو العبري وأثره في النحو العبري، للدكتور محمد حسن إبراهيم.

تفسير التوراة بالعربية لسعيدا الفيومي والأثر... \_\_\_\_\_ /د/ بدران بن لحسن، أ/ محمد عبد العاطي

الحاخام سعيد بن يوسف الفيومي - المصري الأصل - رئيساً لتلك المدرسة حديثاً عظيماً، لأنها كانت المرة الأولى التي رأس المدرسة حاخاماً غير عراقي، وقد أهله لذلك علمه وفقه وشهرته الكبيرة.

كتب الفيومي مقالات طويلة دافع فيها عن شرائع التلمود، وفنّد آراء القرائين<sup>(1)</sup>، ونشر في ذلك كتابه الشهير "الرد على عنان"، (عنان بن داود مؤسس فرقة القرائين). وفي الأثناء وجد الفيومي أن موجة الإلحاد قد اشتد عودها، وقد تولّى كبرها كاتب من بلاد فارس يقال له "حيوي البلخي"، وقد وجه هذا الكاتب سهام نقده للتوراة، مشككاً في مصدرها الإلهي، فتصدّى له سعيد الفيومي بن يوسف وردّ عليه وفنّد آراءه. وتحت رئاسة الفيومي أصبحت مدرسة سورا مقرّاً علمياً كبيراً لحاخامات اليهود. وبعد فترة ليست طويلة نشب خلاف بينه وبين رئيس المسيبيين داود بن زكاي مما اضطره إلى ترك المدرسة والتفرغ للكتابة فكان ذلك فرصة افترصها لإنجاز مؤلفاته الكبيرة والمهمة والتي كان أشهرها كتاب "الأمانات والاعتقادات"<sup>(2)</sup>. الذي ألفه عام

---

(1) تكونت طائفة القرائين (קראינים: قرائيم) اليهودية في بغداد على يد الحاخام اليهودي العراقي "عنان بن داود" إبان حكم الخليفة أبي جعفر المنصور في القرن الثامن الميلادي. ويقتصر إيمان القرائين على التوراة وسفر يوشع باعتبارهما المصدرين الوحيين للفكر الديني اليهودي ولتشريع الفرائض. انتشرت الفرقة بين جمهور اليهود وكادت تغطي على التلموديين حتى قام الحبر المتكلم سعيد بن يوسف الفيومي وبدأ بمجادلتهم معتمداً على علم الكلام الإسلامي ومقولات المعتزلة. انظر: فرقة القرائين اليهود، دراسة في نشأة الفرقة وعقائدها وتاريخها إلى العصر الحاضر، جعفر هادي حسين، مؤسسة الفجر، بيروت- لندن، 1989، ص 31.

(2) "الأمانات والاعتقادات" هو أشهر مؤلفات سعيد بن يوسف الفكرية، ويقصد بالأمانات (الإيمان) والاعتقادات (المعتقدات). وقد كتبه باللغة العربية. ولهذا الكتاب أهمية كبيرة في تاريخ الأديان عموماً خلال العصر الوسيط. وصفه ول ديورانت بقوله "إن هذا الكتاب هو أعظم رد في تاريخ الفكر الديني اليهودي على الخارجين عليه". (قصة الحضارة، المجلد الرابع، الكتاب الثالث، الباب ١٦، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ودار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، بدون تاريخ طباعة). وكان دافع الفيومي من وراء تأليفه كما جاء في مقدمته "الإنباء عن سبب وقوع الشبه للناس في مطالبهم، وعن وجه زوالها حتى يتم وصولهم إلى المطلوب". وقد بدأه بالحديث عن الأسباب التي تجعل الناس يقعون في الشك ولا يستطيعون التمييز بين الحق والباطل، ولا بين صحيح المعرفة وسقيمها، فأرجع ذلك إلى

تفسير التوراة بالعربية لسعديا الفيومي والأثر... \_\_\_\_\_ د/ بدران بن لحسن، أ/ محمد عبد العاطي

٩٣٣م. ثم عاد الفيومي بعد ذلك إلى رئاسة المدرسة مجددا بعد أن انتهت الخلافات التي كانت بينه وبين رئيس المسيبيين.

ترجم الفيومي بن يوسف التوراة من العبرية إلى العربية ترجمة كاملة مصحوبة بالشرح والتفسير، وذلك لكي يسهل على يهود زمانه الذين لا يعرفون العبرية قراءة كتابهم المقدس وفهمه، وقد حرص على أن تكون ترجمته بعيدة عن التجسيم والتشبيه، كما حرص في تفسيره على الاستعانة بالتأويل العقلي للنصوص كي لا تتضارب أو تتناقض.

سببين: "إما نقله [يقصد الخبر] بغير الطلب بمطلوبه (يقصد الالتجاء إلى المصدر الخطأ للحصول على المعلومة المطلوبة)، وإما لتخفيفه من نفسه بترك التأمل والاستقصاء". ويزيد المسألة وضوحا بقوله إن الناقل أحيانا يظن أن ما وقع تحت يديه هو كل ما كتب في الموضوع، وهو لا يدري أن ثمة كتابات أخرى كثيرة تناولت ذات الموضوع، وأنه لو اطلع عليها لربما غير رأيه لما هو أدق وأصح، يقول سعيد في هذا الأمر: "وأيا الأثياء المعقولة تقع فيها الشبهة إما لأن طالب المعرفة غير بصير بوجه الاستدلال، فهو يجعل الدليل لا دليلا، ويجعل أيضا غير الدليل دليلا. وإما لأنه يبصر طرف النظر لكنه يأخذ نفسه بالأخف والأسهل، فيبادر بالقطع على المعلوم من قبل استتمام صناعة النظر فيه".

وقد قسم كتابه إلى عشرة مقالات: في أن العالم بجميع ما فيه محدث، في أن الخالق جل جلاله واحد، في الأمر والنهي، في الطاعة والمعصية، في الحسنات والسيئات، في النفس وحال الموت وما بعده، في إحياء الموتى، في فرقان بني إسرائيل، في الثواب والعقاب، في ما يصلح للإنسان أن يستعمله في دار الدنيا.

ويقول في مقدمة الكتاب أيضا إن منهجه في التناول يعتمد على "ما عرّفنا به ربنا، وبما يقويه من المعقول، ثم اتبعه بما ذهب إليه من خالفنا من جميع من اتصل بي خبره، وأذكر ما له من الكلام وما عليه، ثم أختم على الدلائل النبوية التي لذلك المعنى الذي له المقالة".

انظر: الأمانات والاعتقادات، سعيد بن يوسف الفيومي، تحقيق صامويل لاندور، ليدن، بريل، 1880. ملحوظة: لا أدري إن كان ثمة نسخة حديثة محققة ومدققة من هذا الكتاب غير النسخة السابق الإشارة إليها والتي اشتعلت عليها، فإن لم يكن فسيكون مفيدا للمكتبة العربية أن تضم نسخة أخرى، ذلك لأن النسخة الحالية بها أخطاء لغوية كثيرة، فضلا عن مشكلات جمة تعانيتها في نوع الخط وحجمه، و في تنسيق الكتاب وإخراجه.

تفسير التوراة بالعربية لسعديا الفيومي والأثر... \_\_\_\_\_ د/ بدران بن لحسن، / محمد عبد العاطي

كما ألف الفيومي كتاب "جامع الصلوات والتسابيح" الذي يضم الصلوات اليومية وصلوات أيام الأعياد، وقد ألف هذا الكتاب باللغة العبرية، ما عدا الجزء المتعلق بالتسابيح فقد ألفه بالعربية. وبعد هذا الكتاب من أهم كتب الصلوات (سِدور) اليهودية، والمتصفح لهذا الكتاب - كما سيتبين - يجد الأثر الإسلامي فيه واضحاً، سواء في آرائه المتعلقة بالوضوء والسجود والاصطفاف والركوع وجلسة التبريك أو في مفرداته التي استعملها من أسماء وأفعال وهو يتحدث عن صفات الرب الذي يدعونه ويسبحونه.

ووضع الفيومي كتاباً في النحو العبري أسماه "أجرون" يعتبر من أوائل الكتب التي ألفت في هذا المجال، وقد ظهر في هذا الكتاب تأثيره بمنهج اللغويين العرب، وفي مقدمته يُعَلِّم قَرَّاءه بأنه مَدِين للكُتَّاب المسلمين؛ حيث قال: "إن واحداً من البارزين بين الإسماعيليين (يقصد العرب أولاد إسماعيل) قد أدرك حزينا أن الناس لا تستخدم اللغة العربية على النحو الصحيح فكتب رسالة لهم يتعلمون منها ألا يُلحنون في الكلام"، كما تحدث في ذات النص أيضاً عن شعراء اليهود؛ فقال:

"وبالمثل فقد لاحظت أن الكثير من الإسرائيليين لا يعتنون أية عناية بقواعد لغتنا ناهيك بالقواعد الصعبة لدرجة أنهم لا يتكلمون بالنتر إلا ويخطئون ولا ينظمون الشعر إلا بالتزام نادر بأقل القليل من القواعد القديمة فيما يهملون أغلب القواعد... مما دعاني إلى تأليف كتاب من جزأين يحتوي على أغل الكلمات العبرية.<sup>(1)</sup> وعموماً، فيمكن النظر إلى كتاب "أجرون" باعتباره أول عمل لغوي لعامة اليهود.<sup>(2)</sup>

---

(1)H. Malter, Saadia Gaon: His Life and Works. Philadelphia: Jewish Publication Society, 1921, pp 39-40

(2) تحدّث المؤرخ وول ديورانت في كتابه قصة الحضارة (المجلد الرابع، الكتاب الثالث، الباب ١٦) عن اليهود في العصور الوسطى الذين عاشوا في المجتمعات الشرقية وخصّ سعديا جاعون بالذكر فتكلم عن التأثير الذي خلّفه على الثقافة اليهودية عامة والفكر الديني اليهودي خاصة، وكان مما عدّه من أوجه هذا التأثير تأليفه لمعجم "أجرون" والذي وصفه بالقول: "الأجرون" هو معجم أرامي للغة العبرية يعد أساساً للفلسفة العبرية؛ ومنها: "كتاب اللغة" وهو أقدم ما عُرف من كتب في نحو اللغة العبرية. وعموماً،

تفسير التوراة بالعربية لسعيد الفيومي والأثر... \_\_\_\_\_ د/ بدران بن لحسن، أ/ محمد عبد العاطي

وكما يتضح مما سبق، فإن إسهامات الفيومي تعددت وتوزعت على العديد من المجالات، وهو في كلٍ منها ترك بصمة ليس على عصره فقط بل أيضا على ما لحقه من عصور امتدت حتى عصرنا الراهن.

## 2. **ترجمات سعيد بن يوسف الفيومي: "تفسير التوراة بالعربية" نموذجًا**

يسعى هذا العنصر من البحث إلى تسليط الضوء على الترجمة العربية للتوراة التي أنجزها سعيد بن يوسف الفيومي تحت عنوان "تفسير التوراة بالعربية"<sup>1</sup>، وذلك لمعرفة أهمية هذه الترجمة بالنسبة للديانة اليهودية من جهة، ولتبيان الأثر الإسلامي فيها من جهة ثانية.

في هذا السياق سيتم التطرق إلى بدايات الكتابة بـ "اليهودية العربية" قبل أن يكتب بها سعيد بن يوسف الفيومي بعض مؤلفاته، وذلك كي نتعرف على الإضافة التي جاء بها سعيد الفيومي حينما كتب بهذه اللغة، كما سيتم الحديث عن تاريخ ترجمات الكتاب المقدس وصولاً إلى ترجمة سعيد الفيومي بن يوسف، وإبراز ميزاتهما، وخصائصهما، ومدى اختلافهما عمّا سبقها من ترجمات، فضلا عن تبيان الأثر الإسلامي فيها سواء أكان أثرا لغويا أو دينيا.

### **أولاً: سعيد بن يوسف الفيومي وبدايات الكتابات اليهودية العربية**

كما أشرنا آنفاً، فلسعيد بن يوسف الفيومي إنتاج فكري غزير في العديد من المجالات؛ فقد أُلّف في الشريعة والتفسير والترجمة والنحو وعلم الكلام، كما نظّم الشّعْر

---

يمكن للاطلاع على تأثير اللغة العربية من نحو وصرف على اللغة العبرية والأدب العبري ومن ثمّ على الثقافة اليهودية عامة والثقافة الدينية خاصة متابعة تفاصيل ذلك لدى دروري في هذا الكتاب:

R. Drory, Models and Contacts: Arabic literature and its Impact on Medieval Jewish Culture, Brill Series in Jewish Studies, vol. 25. Leiden: Brill, 2000, pp. 179-190.

(1) يقصد سعيد بن يوسف الفيومي بكلمة الترجمة "التفسير"، أما الشرح فيقابل التفسير عند المسلمين، ولذلك نجده يعنون "تفسير التوراة بالعبرانية"، أما سفر الأمثال وأيوب فيقول "تفسير وشرح"، لأن هدفه كان ترجمة هذين السفرين وشرحهما وتفسيرهما، وكذلك بالنسبة للتوراة نجد عنوان "تفسير سفر التكوين" شرح أو التفسير المطول. الباحث.

تفسير التوراة بالعربية لسعديا الفيومي والأثر... \_\_\_\_\_ د/ بدران بن لحسن، أ/ محمد عبد العاطي

وكتب الأدعية والابتهالات الدينية، واستعمل في ذلك كلَّه اللغتين: العبرية والعربية، ولغة ثالثة - إن جاز تسميتها بهذا الاسم - هي اللغة "اليهودية-العربية"<sup>(1)</sup>.

ورغم أن سعيد الفيومي يُعتبر من أكثر علماء اليهود في العصور الوسطى تأليفاً باليهودية-العربية فإنه لم يكن أول من استعملها، فقد كان معاصراً لعلماء آخرين كتبوا بهذه اللغة، وإن لم تحظ كتاباتهم بالذبوع والانتشار كما حظيت كتاباته ومؤلفاته، ومن هؤلاء -على سبيل المثال- الفَرَّائِي، أبو يوسف يعقوب القرقيساني، الذي عاش في القرن العاشر الميلادي وكانت له تفاسير ومؤلفات كثيرة بهذه اللغة، ومنهم إسحاق الإسرائيلي (نحو 855-955م)، والمقامس بن مروان الراقي (ت: 900م)<sup>(2)</sup>.

ومن الباحثين من يدرج "الإسرائيليات" ضمن "الثقافة اليهودية-العربية" باعتبارها مؤلفات ذات أصول يهودية كُتبت باللغة العربية. كما أن هناك من يشيرون إلى تراث يهودي-عربي ظهر قبل الإسلام في شبه الجزيرة العربية لكن صَعَبَ عليهم رصده لندرة التكوين آنذاك<sup>(3)</sup>.

وعموماً فقد كانت اليهودية-العربية بمنزلة لغة الخطاب اليهودي طوال العصر الوسيط في العالم الإسلامي من العراق إلى الأندلس<sup>(4)</sup>.

---

(1) العربية-اليهودية، لغة استعملها علماء اليهود في العصر الوسيط لتيسير الفهم على اليهود العرب الذين لم يعد بمقدورهم فهم اللغة العبرية، فكانوا يكتبون الكلمة العربية بأحرف عبرية، ومن هنا سُمِّيت باليهودية-العربية. انظر: المعجم الحديث عبري عربي، ربحي كمال، دار العلم للملايين، دمشق، الطبعة الثانية، 1992.

(2) M. Polliack, The Karaite Tradition of Arabic Bible Translation: A Linguistic and Exegetical Study of Karaite Translations of the Pentateuch from the Tenth and Eleventh Centuries C.E., Études Sur Le Judaïsme Médiéval, vol. 17. New York: Brill, 1997, p.40.

(3) المصدر السابق، ص 41

(4) الآراء الكلامية لموسى بن ميمون والأثر الإسلامي فيها، حسن حسن كامل إبراهيم، مركز الدراسات الشرقية، سلسلة فضل الإسلام على اليهود واليهودية، العدد ٧، الصادر عام ٢٠٠٣، جامعة القاهرة، ص ١٠-١٢.

تفسير التوراة بالعربية لسعديا الفيومي والأثر... \_\_\_\_\_ د/ بدران بن لحسن، أ/ محمد عبد العاطي

ولترجمات الكتب المقدسة أهمية بالغة في تطور الديانات، وقد انتفعت المجتمعات المسيحية واليهودية من الترجمات المختلفة للتوراة والإنجيل عبر العصور؛ حيث صاغت هذه الترجمات هويتها الذاتية، وسمحت لها بالتعبير عن نصوصها المقدسة بطرق أكثر جدة وتأثيرًا، وذلك لأن هذه الترجمات لا يتوقف تأثيرها فقط عند حد الترجمة الحرفية بل تمتد إلى ترجمة النص من داخل البيئة الدلالية للغة المترجم إليها؛ مما يساعد على انتقال ثقافة تلك اللغة إلى قراء ومستخدمي الترجمات، وهو ما فعله سعيد بن يوسف الفيومي، أوائل القرن العاشر الميلادي، من خلال ترجمته العربية للتوراة، والذي نخصص له هذا الفصل، وقد يكون مفيداً لتسليط الضوء على الترجمات الكتابية اليهودية المؤلفة قبل ترجمة سعيد الفيومي بن يسوف لتتعرف على مكانة هذه الترجمة.

### ثانياً: الترجمات التوراتية قبل "تفسير التوراة بالعربية"

تعددت التراجم اليهودية للعهد القديم منذ أقدم العصور، فالتراجم الآرامية نشأت نتيجة اندثار اللغة العبرية كلغة للحديث بعد زوال ملكة يهوذا عام ٧٠ ميلادية على يد الرومان وصارت الآرامية اللغة الرسمية في الإمبراطورية الفارسية<sup>(1)</sup>.

وهناك الترجمة اليونانية التي تمت في الإسكندرية بين عامي ٢٨٥-٢٤٧ قبل الميلاد، وكان غرضها الأساسي مساعدة اليهود المصريين على معرفة تراثهم الديني باللغة اليونانية التي كانوا لا يعرفون غيرها، وقد اشتهرت باسم "الترجمة السبعينية" نسبة لقيام ٧٢ شيخاً من شيوخ اليهود بترجمتها على أرجح الأقوال، ومنها استلئت الترجمة اللاتينية نهاية القرن الثاني الميلادي، والترجمة القبطية في القرن الثاني الميلادي أيضاً وغيرها من الترجمات كالإثيوبية والأرمينية والجورجية<sup>(2)</sup>.

---

(1) تفسير التوراة بالعربية، تاريخ ترجمات أسفار اليهود المقدسة ودوافعها، أخرجه وصححه يوسف درينبورج، نقله إلى العربية سعيد عطية وأحمد عبد المقصود، الاقتباس المشار إليه من المقدمة التي كتبها د. أحمد محمود هويدي، ص 14، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٦.

(2) المصدر السابق، ص 15

تفسير التوراة بالعربية لسعيدا الفيومي والأثر... \_\_\_\_\_ د/ بدران بن لحسن، أ/ محمد عبد العاطي

وفي العصر الوسيط تعددت الترجمات العربية، وكانت في البداية شفوية ثم بدأ تدوينها مع ظهور الإسلام، ومن أهم الترجمات التي وصلت إلينا ترجمتا سعيد بن يوسف الفيومي ويافت بن علي اللاوي.

وهناك أسباب متعددة أدت إلى ظهور تراجم عربية يهودية للعهد القديم، منها:

1- غموض كثير من المواضع في المقرأ<sup>(1)</sup> بسبب اندثار اللغة العبرية كلغة للحديث.

2- انتشار القرآئين الذين كانوا يستخدمون العهد القديم ويرفضون التراث التلمودي.

3- سعي سعيد بن يوسف الفيومي إلى إدخال أساليب جديدة في ترجمته وتفسيره لأسفار التوراة كأسلوب الـ"هالاخا" والـ"أجاده"<sup>(2)</sup>، كما هدف من ترجمته إلى تقريب أقوال التوراة إلى العقل، وذلك باستخدام الأسلوب الفلسفي والمنهج العقلي<sup>(3)</sup>.

وقد أدت هذه الأسباب بسعيد الفيومي إلى ترجمة العهد القديم وشرحه وتفسيره، بغية تقديمه بلغة عربية يفهمها اليهود القاطنون في البلدان العربية والإسلامية.

والملاحظ في ترجمة سعيد الفيومي أنها ليست ترجمة حرفية بل ترجمة تفسيرية للنص، وقد تعمّد تقريب أقوال التوراة إلى العقل الذي كان يعد أحد أهم خصائص الحضارة الإسلامية آنذاك، واستخدم في ترجمته، كما سيوضح في ثنايا البحث، الأسلوب الفلسفي والمنهج العقلي. كما أن ترجمة يافت بن اللاوي أقرب أيضاً إلى التفسير منها إلى الترجمة الحرفية. وتوجد تراجم يهودية أخرى من العصر الوسيط لكن معظمها لم يصل إلينا.

---

(1) المقرأ hameqra تعني المقروء، وقد وردت الإشارة لهذه التسمية في سفر العدد ١٠:٢ "اصنع لك بوقين من فضة مسحولين فيكونان لك لمناداة كقارملا كل الجماعة ولارتحال المحلات"، وقد يكون المقصود من هذه التسمية القسم الأول من أسفار اليهود المقدسة أي التوراة، حيث وردت هذه التسمية في التلمود البابلي زوطه ٧:٢. المصدر السابق، ص 9

(2) الهالاخا هي مجموعة النصوص التشريعية، والأجاده هي مجموعة النصوص القصصية. انظر موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب المسيري، المجلد الخامس، اليهود.. المفاهيم والفرق، ص 13، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٩٩.

(3) تاريخ الترجمات أسفار اليهود، درينبورج، مصدر سابق، ص ١٧.

ويشار إلى أن ثمة نمطين من الترجمة: أولهما: ترجمة حرفية تركز على ترجمة الكلمة واللفظة ولا تتعداهما إلى الشرح والتفسير والتأويل، وثانيهما: ترجمة تأخذ ذلك بعين الاعتبار فتنتقل الشعور والمعنى والدلالة بطريقة تحافظ على الأفكار لكن تقدمها بأسلوب جميل وبعبارات جذابة وهو ما لا يتأتى إلا لمن امتلك ناصيتي اللغة والثقافة معاً. وقد كان سعيد بن يوسف الفيومي من النوع الثاني؛ فقد كان عالماً بالديانة اليهودية ومثأثراً بالثقافة العربية الإسلامية السائدة والمزدهرة في عصره فجاءت ترجمته ثرية في تراكيبها ومضامينها ومختلفة عن الترجمات المسيحية التي اهتمت باللفظ وأغفلت الأسلوب فبدا عليها الاضطراب والركاكة.

كما تميزت ترجمة سعيد الفيومي بأنها أول ترجمة من النص العبري مباشرة إلى اللغة العربية، وذلك عكس الترجمات المسيحية التي تمت عبر الترجمة السبعينية واللاتينية؛ ولهذا فقد وضع سعيد الفيومي لترجمته عنوان "تفسير التوراة بالعربية" كما أضاف تحته عنواناً فرعياً "شرح التوراة لرأس المثيبة رب سعيد الفيومي طيب الله ثراه". وعن هدفه من هذه الترجمة كتب في المقدمة قائلاً إن الهدف هو "إخراج معاني الكتاب المقدس من كتاب النبوة المسمى التوراة من اللغة القديسة إلى اللغة الغالبة على زمان المخرج له ووطنه"<sup>(1)</sup>. ثم بيّن الدافع الذي جعله يُقَدِّم على هذا العمل؛ بقوله: "وإنما أرسمت هذا الكتاب لأن بعض الراغبين سألني أن أفرد بسيط بعض التوراة في كتاب مفرد، لا يشوبه شيء من الكلام في اللغة مصرفها ومبدلها ومقلبها ومستعارها، ولا يدخل فيه قولٌ من مسائل الملحدّين، ولا من الرد عليهم، ولا من فروع الشرائع العقلية، ولا كيف تعمل السمعية، إلا إخراج نص معاني التوراة فقط"<sup>(2)</sup>.

وتعد ترجمة "تفسير التوراة بالعربية" أول ترجمة كاملة للتوراة إلى العربية على الأرجح<sup>(3)</sup>. وهناك ترجمات أخرى لكنها لم تكن لكامل التوراة وإنما لبعض الفقرات

---

(1) تفسير التوراة بالعربية، سعيد بن يوسف الفيومي، مصدر سابق، المقدمة

(2) تفسير التوراة بالعربية، مقدمة الفيومي، مصدر سابق، ص 22.

(3) نقول: على الأرجح؛ لأن ثمة باحثين يشكّون في هذا، بل إنَّ منهم من لا يُقر بأن سعيد قام بترجمة كاملة للتوراة ابتداءً، انظر: جاي بلاو في كتابه:

تفسير التوراة بالعربية لسعديا الفيومي والأثر... \_\_\_\_\_ د/ بدران بن لحسن، أ/ محمد عبد العاطي

المتفرقة وقد تمت على مدى قرون. وربما كانت أقدم ترجمة عربية بحروف عبرية لمادة كتابية قبل سعيد الفيومي تلك القصاصة التي وجدت في جَنِيْزَة القاهرة والمؤلفة قبل القرن الثامن الميلادي من سفر الأمثال، لكن ليس ثمة أدلة تؤكد إن كان سعيد الفيومي قد استخدم شيئاً من تلك القصاصات في تفسيره أم لا<sup>(1)</sup>.

### ثالثاً: دوافع الطلب اليهودي على الترجمات اليهودية العربية

ضعفت اللغة العبرية بعة السبي البابلي وحلت محلها الآرامية ثم اليونانية، ثم بعد ذلك زاد إقبال اليهود على الترجمات العربية بازدياد النشاط التعليمي الديني في الجاعونيات<sup>(2)</sup>، لكن هذا لا يعني أن الطريق إلى تلك الترجمات كان مُعْبَدًا، فقد وُجِهت بمعارضة من علماء اليهود الذين أحسوا بالخطر من احتمال تسلُّل الأفكار والمصطلحات الإسلامية المتضمنة في اللغة العربية إلى اليهودية وكان أكثر المعارضين من جاعونية بابل.

وقد اختلف الباحثون حول ما إذا كان التفسير الأصلي الذي كتبه سعيد الفيومي قد كُتِب بحروف عبرية أم عربية، فأوضح بلاو على سبيل المثال في دراسته عن "الأصول العربية في يهودية العصور الوسطى"<sup>3</sup>، أن تفسير سعيد الفيومي كُتِب بحروف عبرية ثم قام المترجمون بعد ذلك بترجمته إلى الحرف العربي، مستنداً بما أورده سعيد الفيومي نفسه في مقدمته لتفسيره حيث كتب يقول: "لقد كتبت هذا الكتاب

---

J. Blau, *The Emergence and Linguistic Background of Judaeo-Arabic: A study of the origins of Middle Arabic*. Oxford: Oxford University Press, 1965, pp. 38-41.

(1) من الباحثين من يقولون إن سعديا لم يعتمد على قصاصات جنيزة القاهرة، ومنهم من يقول عكس ذلك، ولكل أطلته التي يسوقها. انظر الجدل بشأن هذه المسألة عند بن شامّي في كتابه:

H. Ben-Shammai, *The Tension between Literal Interpretation and Exegetical Freedom*, pp. 36-37.

(2) جاعون لفظة عبرية تعني حاخام أو علامة شهير، أو عبقرى. والجاعونيات تطلق على المدارس الدينية التي يرأسها هؤلاء الحاخامات. انظر: المعجم لحديث عبري عربي، رحي كمال، دار العلم للملايين، دمشق، الطبعة الثانية، 1992، لفظة غاعون.

(3) Blau, Joshua. "The Linguistic Character of Saadia Gaon's Translation of the Pentateuch." *Oriens* 36. 2001: 1-9. And see also H. Malter, *Saadia Gaon: His Life and Works*. Philadelphia: Jewish Publication Society, 1921, pp 41- 45

تفسير التوراة بالعربية لسعيد الفيومي والأثر... \_\_\_\_\_ د/ بدران بن لحسن، أ/ محمد عبد العاطي

بناء على طلب من سألني أن أضع نصًّا واضحًا للتوراة في كتاب منفصل لا يختلط بأي نقاش عن استخدام اللغة<sup>(1)</sup>، وبلاو هنا يجادل كاتب سيرة سعيد الفيومي، هنري مالتر، الذي ذهب إلى أن سعيد قد كتب جميع مؤلفاته بحروف عربية ثم عهد بها إلى النسخ لينسخوها بالحرف العبري<sup>(2)</sup>، وأقوى ما يستدل به مالتر على رأيه هذا اقتباسات يوردها في سيرته عن أبراهام بن عزرا (ت. 1164) والتي يُقدّم فيها الأدلة على أن تفسير سعيد الفيومي قد كُتب بحروف عربية، منها قوله: "إن تفسير التوراة قد كتب بلغة إسماعيلية (عربية) وبنص إسماعيلي (عربي)"<sup>(3)</sup>. والرأي الذي أميل إليه ترجيحًا بين بلاو ومالتر هو أن النص الذي أورده بلاو يُثبت أن سعيد الفيومي ألّف تفسيره بحرف عبري لكن هذا لا ينفي فرضية أن يكون المؤلف قد كُتب بحرف عربي ثم تُرجم إلى العبرية، لهذا فيبدو لي أن رأي مالتر هو الأدق.

رابعاً: الأثر العربي الإسلامي في "تفسير التوراة بالعربية"

#### أ- الأثر المنهجي

أول ما يلفت النظر في منهج سعيد الفيومي في ترجمة "تفسير التوراة بالعربية" هو نظرتة لطبيعة النص التوراتي ذاته؛ إذ نظر إليه كما نظر المسلمون إلى القرآن الكريم، وآمن بطبيعته القدسية المنزلة كما آمن المسلمون بقدسية كتابهم لفظاً ومعنى، ولذا فلا غرو أن استعمل في شرحه كلمة "تفسير" التي يستعملها المسلمون، وربما يكون مناسباً الاستدلال هنا برأي مارك كوهين في كتابه "تحت الهلال والصليب: اليهود في العصور الوسطى"، الذي قال: "إن أهم تداعيات تأثير سعيد الفيومي بمناهج تفاسير القرآن كما ظهرت في ترجمته هو تدليله على الطبيعة القدسية للنص التوراتي على غرار تدليل المفسرين المسلمين على الطبيعة القدسية للنص القرآني"<sup>(4)</sup>.

(1) M. Polliack, Ibid, p. 80.

(2) Blau, Joshua, Ibid, 45-46

(3) مالتر، سعديا جاعون، مصدر سابق، ص. 145.

(4) M. R. Cohen, Under Crescent and Cross: The Jews in the Middle Ages. Princeton, NJ: Princeton University Press, 1994, p. 115.

تفسير التوراة بالعربية لسعيد الفيومي والأثر... \_\_\_\_\_ د/ بدران بن لحسن، أ/ محمد عبد العاطي

وثمة ملمح آخر مهم يلحظه القارئ في منهج سعيد الفيومي لترجمة "تفسير التوراة بالعربية"؛ ذلك أنه حرص على تنزيه الإله، والابتعاد عن أي مفردة توحى بالتجسيم، مستفيداً في ذلك من علم الكلام الإسلامي، وبخاصة المعتزلة الذين أولوا الآيات، واستعملوا الأدلة العقلية حتى يبتعدوا عن شبهة التجسيم.

فعلى سبيل المثال، يترجم سعيد الفيومي ما ورد في سفر الخروج 3:20 عن مد الرب يده لضرب مصر ( قَامُدُ يَدِي وَأَضْرِبُ مِصْرَ )، يترجمها إلى: "أبعث آفاتي فأضرب المصريين"<sup>(1)</sup>.

وقد سعى الفيومي أيضاً إلى إعادة صياغة العبارات التي لا تبدو مفهومة أو منطقية في التوراة، فعلى سبيل المثال في ترجمته سفر الخروج 37:2 (هذه مواليد يعقوب ويوسف إذ كان ابن سبع عشرة سنة)؛ حيث حلَّ الفيومي مشكلة تجاوز اسمي يعقوب ويوسف بأن ترجمَ الإصحاح كما يلي: "هذه قصة مواليد يعقوب عندما كان يوسف في السابعة عشرة من عمره..."، وهكذا. غير أنه تجدر الإشارة إلى أن هذا البحث لن يتتبع أمثال هذه الكلمات ويحصيها عدداً وإنما سيأخذ منها نماذج تكفي الغرض ثم لتسليط الضوء على العناصر الدلالية للغة سعيد الفيومي التأويلية واستقراء علاقتها بالإسلام والبيئة الفكرية الإسلامية التي أنتجت فيها، وسوف يحيل القارئ إلى كتابات أساتذة اللغة العبرية بالجامعات العربية الذين اهتموا بتتبع الكلمات والمفردات التي استوحاها سعيد الفيومي من اللغة العربية وفصلوها من ناحية الجذر والنحو والصرف والجرس وما هنالك من علوم وفنون اللغة وعقدوا المقارنات وأعدوا الجداول الخاصة بذلك.

وعموماً، فقد قسم الباحثون التأثير العربي الإسلامي في ترجمة سعيد الفيومي إلى تأثير لغوي وتأثير ديني:

## ب- الأثر اللغوي

---

(1) كل الاستشهادات والاقتباسات من تفسير سعديا مأخوذة من النسخة العربية من التوراة التي حررها جاي ديرينبورج. باريس: 1893.

يظهر التأثير اللغوي العربي الإسلامي على الفيومي من خلال نقل بعض المفردات العبرية إلى العربية بجذر مشابه أو مطابق للجذر العبري مثل "تسيّف الصالح مع الطالح" إذ يقال في اللغة العربية: استاف القوم وتسايفوا أي تضاربوا بالسيوف، ويعني ذلك أنهم قُتلوا أو أهلكوا بالسيف، وهذا هو المعنى المقصود من الفعل 755 الذي يعني أباد أو أفنى<sup>(1)</sup>.

كما يظهر التأثير اللغوي العربي الإسلامي أيضاً في ترجمة الفيومي لأسماء الأماكن الواردة في التوراة مثل اسم المكان في قصة خروج هاجر مع إسماعيل لאל 777 777 ترجمه بـ "على العين" وهو مكان معروف على طريق الحجاز (تكوين 16: 7)، وفي مواضع أخرى ترجمها بـ "شور" وتفسيرها في التكوين 49: 22: سور أو حصن. كما ترجم اسم المكان 777 بـ "الجنوب"، وأحياناً يترجمها بـ "القبلة" أو "بلد القبلة" ثم رحل من ثم إبراهيم إلى بلد القبلة" (تكوين: 20: 1)<sup>(2)</sup>.

ويظهر كذلك في العديد من المفردات التي استغنى عن الشائع منها والذي اشتهر قبل ترجمته واستخدم عوضاً عنها مفردات عربية إسلامية، كما هي الحال مثلاً في لفظ "رأى" في سفر الخروج 4: 5؛ فترجمه بلفظة "تجلّى" الواردة في القرآن فذكر النص العبري، وتحتة أورد الترجمة التالية؛ "لكي يؤمنوا أن قد تجلّى لك الله إله آبائهم: إبراهيم وإسحاق ويعقوب"، بدلاً من الترجمة المسيحية "لكي يصدقوا أنه قد ظهر لك الرب إله آبائهم إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب".

ويلاحظ هنا بين الترجمتين أن الفيومي لم يكرر لفظ إله كما كررته الترجمة المسيحية وعطف بعد ذلك على الآباء، كما استخدم مصطلح الإيمان بدلاً من التصديق، لأنه يرى -كما رأى العلماء المسلمون- أن "الإيمان" يعني التصديق بالقلب والإقرار باللسان.

ومن أبرز هذه الكلمات، كلمة "الإمام" الذي يقيم الصلاة؛ إذ استعمل مفردة إمام وهو يترجم كلمة "الحرّان"، كما استعمل كلمة "القبلة" وهو يتحدث عن توجه اليهود في

(1) مقدمة تفسير التوراة بالعربية، هويدي، ص 22، مصدر سابق

(2) مقدمة تفسير التوراة بالعربية، هويدي، ص 23، مصدر سابق

تفسير التوراة بالعربية لسعيدا الفيومي والأثر... \_\_\_\_\_ /د/ بدران بن لحسن، /أ/ محمد عبد العاطي

صلاتهم نحو القدس، واستعمل كذلك كلمة "الشريعة" تعبيراً عن كلمة التوراة، فضلاً عن استخدامه الصيغ القرآنية وهو يترجم أسماء الأنبياء في التوراة، مثل: "موسى" بدلاً من "موزز"، و"إبراهيم" عوض "أبراهام"، و"يعقوب" بدلاً من "جيكوب"، وهكذا. وعندما يجد سعيد الفيومي عبارة "عبد يهوا" يترجمها إلى "رسول الله"، والحال نفسه مع كلمات "بغاء" التي ترجمها إلى "المتعة"<sup>(1)</sup> وكلمة "قانون الميثاق" إلى "العهد"<sup>(2)</sup>، وكلمة "طيبة الرب" إلى "فضله وإحسانه"... وهكذا. فثمة عشرات الكلمات التي كان انتقاء سعيد الفيومي مرادفاً لها من معين اللغة العربية والمفردات القرآنية انتقاء له دلالة دينية لا تخطئها العين<sup>(3)</sup>.

ولم يجد سعيد الفيومي حرجاً في استمداد بعض الألفاظ من القرآن الكريم ليدخلها في ترجمته للتوراة، من ذلك على سبيل المثال: القرية ترجمة لكلمة العير، في سفر التكوين ٤٩: ٤. وكلمة "اللهم" فقال: اللهم يا إله مولاي إبراهيم" بدلاً من "وقال: أيها

---

(1) ذكرت التوراة ﴿لَا يَكُنْ مِنْ بَنَاتِ إِسْرَائِيلَ وَلَا مِنْ أَبْنَاءِ إِسْرَائِيلَ زَانِيَاتٌ وَمَأْبُوثُو مَعَابِدَ﴾ (ترجمة كتاب الحياة التنبية ٢٣: ١٨) بينما نجد هذه الآية في ترجمة سعيدا ﴿لَا يَكُنْ مِنْ بَنَاتِ إِسْرَائِيلَ مُتَمَعَّةٌ وَلَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَمَعَّةٌ﴾ نستنتج من هذه الترجمة سعيدا دلّ بأنه كان يوجد زواج اسمه زواج المتعة، وقد رفض هذا الزواج لأنه يتعارض مع نص التوراة.

(2) تأسباً بذات الكلمة في القرآن الكريم "يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ" البقرة- آية ٤٠.

(1) انظر: التأثير الإسلامي في التفاسير اليهودية الوسيطة من مقدمة كتاب: تفسير الرباعي سعيد الفيومي جاؤون لسفر التكوين، موشيه مورديخاي تسوكر، ترجمة أحمد محمد هويدي، القاهرة، جامعة القاهرة، مركز الدراسات الشرقية، سلسلة فضل الإسلام على اليهود واليهودية، 2003. وقد حفل الكتاب بعشرات الأمثلة المفصلة من منظور الترجمة، والتي اكتفينا بنماذج منها هنا فقط لنخلص إلى الأثر والدلالة؛ إذ ليس غرضنا الإحصاء بقدر ما يهمننا استخلاص المعنى وتبيان المغزى والإشارة إلى الدلالة. وانظر أيضاً: أثر تفسير القرآن الكريم في تفسير الحاخام سعيدا الفيومي لسفر التكوين، عزة محمد سالم، القاهرة، مكتبة الآداب، 2009. وكذلك:

M. R. Cohen, Under Crescent and Cross: The Jews in the Middle Ages. Princeton, NJ: Princeton, University Press, 1994, p 115

وقد أورد كوهين في هذا الكتاب قائمة بالكلمات العربية الإسلامية التي استعملها سعيد الفيومي وكان لاستعماله لها تأثيرات دينية أثرت في اليهودية.

الرب إله سيدي إبراهيم"، وكان دائماً يترجم كلمة "عم إسرائيل" بـ "قوم إسرائيل". الخروءة  
١٤: ١٩ . ٣١.

### ج - الأثر الديني

كانت أمام سعيد الفيومي، وهو يترجم التوراة، كلمات عربية كثيرة لكنه أثر استخدام كلمات بعينها دون سواها قاصداً الاستفادة المباشرة من دلالاتها الدينية؛ فضلاً عن التأثير اللغوي العربي الإسلامي في ترجماته فإن ثمة تأثيراً دينياً واضحاً فيها أيضاً، وبخاصة حرصه على اتباع النهج الإسلامي أثناء الحديث عن أسماء الله وصفاته، فقد حرص على اختيار كلمات وعبارات ومصطلحات تتعد بالترجمة عن التجسيم والتشبيه، وهو ما سيأتي بيانه مفصلاً في ثنايا هذا البحث. ويقول في مقدمة تفسير التوراة بالعربية: "... تبارك الموجود وجوداً أزلياً، الواحد على حقيقة الوجودانية، الحكيم الحكمة المحضة، القادر قدرة تامة، المحسن إحساناً كاملاً، العالي على كل تسييح ومجد...". وهكذا يتضح من هذا النص المقتبس من مقدمة سعيد الفيومي كم هو متأثر باللغة الدينية الإسلامية إذ لم يعتد اليهود الحديث عن الله أو الكتابة عنه بهذه اللغة وحشد هذه الصفات الشبيهة بما يكتبه العلماء المسلمون ويتحدثون به عن إلههم، خاصة إذا علمنا أن صفات الله في العهد القديم يغلب عليها التجسيد والتشبيه فهو بغضب ويفرح ويسير مع الجماعة ويتعب ويستريح... إلخ.

فمثلاً حينما أراد سعيد الفيومي ترجمة ما ورد في مقدمة سفر التكوين، والذي أوردته التراجم قبله على النحو التالي: "بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تفتح أعينكما وتمونان كالله عارفين الخير والشر"، تدخّل سعيد الفيومي في النص وابتعد عن التجسيم والتشبيه فكانت ترجمته على النحو التالي "وتصيران كالملائكة عارفين الخير والشر"<sup>(1)</sup>.

ومن الأمثلة الأخرى التي حرص فيها سعيد الفيومي على ابتعاده عن التشبيه والتجسيم، ترجمته ما ورد عن الله في قصة إبراهيم حينما جاءه ملاك الله في المنام،

(1) الفيومي، مقدمة تفسيره لسفر التكوين، تفسير التوراة بالعربية، مصدر سابق

تفسير التوراة بالعربية لسعديا الفيومي والأثر... \_\_\_\_\_ د/ بدران بن لحسن، أ/ محمد عبد العاطي

فبدلاً من الترجمة السائدة قبله والتي تقول: "فجاءه الله في المنام.." ترجمها هو: "فجاء ملاك الله في المنام"<sup>(1)</sup> ليبتعد عن تشبه الله بالإنسان في مجيئه وذهابه.

ومن الأثر الديني (الإسلامي) كذلك في ترجمة سعيد الفيومي ترجمته لأسماء الألوهية "يهوه" و"إلهيم" إلى كلمة "الله" الواردة في القرآن الكريم. وعندما يلحق الضمير بإلهيم يترجمها ترجمة ذكية بعبارة "الله ربكم"؛ وذلك لأنه يريد الابتعاد في ترجمته عن اسم يهوه المقابل للآلهة الوثنية "مردوك" و"أشور".

كما يرفض سعيد الفيومي كل النصوص التي تشير إلى تعدد الآلهة وذلك لإيمانه بالوحدانية، وحينما يرد مصطلح إلهيم للدلالة على التعدد (آلهة) يترجمه "معبودات"، ويورد صياغة جميلة أخرى استطاع بها الابتعاد عن التعدد والتشبيبه والتجسيم وهي قريبة من المصطلحات الإسلامية كما يتبين في هذا النص "قال له الأزلي الذي لا يزول: قل لبني إسرائيل: الأزلي بعثني إليكم"<sup>(2)</sup>.

وقد صنّف الفيومي من يقولون بجسمانية الله إلى 1- أولئك الذين "يسومون" تصويره في أوهامهم جسماً"، 2- أولئك الذين لا يفصحون بتجسيمه لكنهم يطالبون له اللمية أو كيفية أو مكان أو زمان أو ما أشبه ذلك. فمطالبتهم هذه هي المطالبة الجسم بعينها إذ هذه الأوصاف هي معاني الجسم"<sup>(3)</sup>، ويجد الفيومي لهذه المعاني تفسيراً آخر غير التجسيم فيرجعها إلى ما يسمه "التخصيص والتشريف"، وعن ذلك يقول: "مع أن له جميع الأرضين إلا أنه شرف واحدة منها بقوله هذه أرضي، وله جميع الجبال وشرف جبالاً منها بقوله هذا جبلي، مذاك له جميع الورد وشرف صورة واحدة منها بأن قال هذه صورتني على سبيل التخصيص لا على سبيل التجسيم"<sup>(4)</sup>.

ومن المصطلحات ذات الدلالة على التأثر بالفكر الإسلامي التي استعملها سعيد الفيومي مصطلحا "الظاهر" و"الباطن" ويُقصد بهما تفسير الكلمة بظاهر لفظها إن كان

(1) المصدر السابق، الموضوع نفسه

(2) التأثير الإسلامي في التفسير اليهودية، هويدي، ص 24-26، مصدر سابق

(3) الأمانات، الفيومي، مصدر سابق، ص 76-77

(4) الأمانات، الفيومي، مصدر سابق، ص 94

تفسير التوراة بالعربية لسعيد الفيومي والأثر... \_\_\_\_\_ د/ بدران بن لحسن، أ/ محمد عبد العاطي

مفهوماً أو بتأويلها والكشف عن معناها الخفي (الباطني) إن كان مستغلقاً على الفهم، ويذكر الباحث بين شامّي في كتابه "ملاحظات مقارنة حول منهج سعيد الفيومي"<sup>(1)</sup>، أن سعيد الفيومي في قوله بالظاهر والباطن إنما تأثر بأبن جرير الطبري الذي كان معاصراً له (ت. ٩٣٢م) ويعلم الكلام المعتزلي. ويورد شامي هذه العبارة لسعيد الفيومي التي توضح منهجه وهو يفسر إحدى آيات التوراة "هذه آية معناها الظاهري عام لكن تأويلها الباطني خاص". ويعلق عليها بالقول: "إن مفردات سعيد الفيومي التفسيرية ليست سوى دلالة صغيرة على اعتماده على الاصطلاح الديني الإسلامي"<sup>(2)</sup>.

### الخاتمة

يخلص هذا الفصل إلى أن الأثر الإسلامي، اللغوي والديني، في ترجمة سعيد الفيومي المعروفة باسم "تفسير التوراة بالعربية" كان كبيراً، وقد تجلّى في استخدامه ألفاظاً عربية إسلامية مما كان شائعاً في عصره، واستعارته كلمات من النص القرآني في كثير من الأحيان، وترجمته أسماء الأماكن بما كان شائعاً في الكتابات الإسلامية وليست العبرية القديمة. كما تجلّى ذلك الأثر أيضاً في تجنبه صفات التجسيد والتشبيه عندما يصف الإله، وهو أمر كان جديداً على العقلية اليهودية في ذلك الوقت.

وقد رأينا أن تفسير سعيد الفيومي للأسفار الخمسة باللغة العربية اعتُبرت مصدراً نفيساً في التلاقي الإسلامي-اليهودي في العصر الوسيط، ولأن هذه الترجمة أُخذت من أصل عبري؛ فهي بذلك تعد مصدراً جوهرياً لفهم تطور الكتابة والثقافة اليهودية العربية، ورغم أن الباحثين قد كشفوا عن العديد من البراهين التي تثبت وجود ترجمات جزئية مبكرة للتوراة إلى العربية قبل سعيد الفيومي؛ إلا أن ترجمة سعيد الفيومي بهذا المستوى وعلى هذا النحو (الكلي) تبدو الأولى من نوعها، وقد أوضح هذا الفصل أن ذلك العمل

---

(1) See H. Ben-Shammai, "Observations on the Beginnings of Judeo-Arabic Civilizations," in *Beyond Religious Borders: Interaction and Intellectual Exchange in the Medieval Islamic World*, ed. D. M. Freidenreich and M. Goldstein. Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 2012, p. 14.

(2) المصدر السابق، نفس الصفحة.

تفسير التوراة بالعربية لسعديا الفيومي والأثر... \_\_\_\_\_ د/ بدران بن لحسن، أ/ محمد عبد العاطي

كان مهمًّا ومؤثرًا في زمن سعيد الفيومي إذ قدَّمه بما يتفق مع المنطق والتأويل الذي أسسه علماء الكلام المسلمون.

وأما تحليل تفسير التوراة بالعربية فإنه يُظهر أن سعيد الفيومي قد استقى ترجماته للمفاهيم الدينية من مصطلحات حملت دلالاتها إشارات قوية إلى علم الكلام الإسلامي، وبذلك أضحى تفسير سعيد الفيومي ذا قيمة عالية أنعشت دراسة التوراة في جاعونية بابل، ولعل تناول تفاسير سعيد الفيومي من منظور المفاهيم العقائدية والكلامية والفلسفية -كما تناولناها من منظور لغوي- يعطينا مزيدًا من الإيضاح حول الأثر الإسلامي في سعيد الفيومي، وهو ما يعالجه الفصل الثاني من هذا البحث.